بين الاصيل والمساء كانت الشمس ترف على النيل مترفقة بمن اقبلوا على ضفته الوارفة ملتمسين جمال العشية وهدوء النهار، وكان النسيم يداعب النخيل فتهتز اعاليه كالمراوح وابدانه السمر المقدودة تلوح من بعيد كجنّيات ليلية خرجت من كهوف الغيب ، والماء يدور حول نفسه حيناً وينطلق حيناً منسرحاً صامتاً ، كأنه صفحات لماعة مواجة لا تلبث ان تعلو وجه الماء حتى تضيع فيه ، فاذا انسحب النسيم الى الحواشي والضفاف نسج الماء حبيكة كأنها سلاسل من فضة مسرّدة تشبه دروع الفرسان في القرون الوسطى .

وحين هبط المساء بالعتمة على المتنزه المترامي الاطراف لم يكن موحشاً ، والأماسي ذات وحشة وكآبة ، فقد استطاع الانسان الجبار في عصرنا ان يحوّل الليل الى نهار ، فكان هذا المتنزه يتلألأ بالأنوار المستديرة والمستطيلة ، فيرتمي شعاعها على وجه النيل مترقرقاً لو رآه الشعراء القدامى لعزفوا عن وصف الماء عند الأصيل والمساء باسلاك الذهب ، ولوصفوا لنا تهاويل من اشكاله تحت الكهرباء .

لم يكن في هذا المتنزه الجميل إلا القليل ممن يحبونه ويفضلونه على غيره ، وقد جاء احدهم مطرقاً يبدو عليه الاضطراب ، اقبل على الضفة تحت المظلة وهو شارد الطرف واجم ، يكلم نفسه بكلام خافت ويشير بيده ويحرك مرة حاجبيه ، ومرة يقلب شفتيه مهمهماً . سار في بطء وتثاقل حتى بلغ مكانه الذي يحتله كلما جاءه فجلس على كرسيه وهو ينظر الى الضفة الثانية ، ولم يطل صمته وتفكيره ، فقد قطعها عليه مجيء امرأة في ريق الصبا وضاحة المحيا ، عليها مسحة من ملاحة تجتذب الناظر اليها لولا ما يبدو عليها من الجد والحشمة . وكانت تتهادى بعدها امرأة تودع الكهولة ممتلئة الجسم عنيفة الملامح ، تتثاقل بمشيتها فلما رآها الرجل الذي سبقها نهض يعدّ لها المكان ، ويصلح وضع الغطاء على المنضدة ، وكان حريصاً على ان تجلس الصبية في جنبه .

جلس الثلاثة لا ينبسون ولا يهمسون ، ثم تبادلوا بعد قليل كلاماً فاتراً متقطعاً ، دون ان ينظر احدهم الى الآخر ، فما وقعت عين على عين ، ولم يأخذوا بحديث متتابع ، بل كانوا يتكلمون همساً اذا اقترب منهم احد ، او لمحوا جاراً او صديقاً ، وكأنهم جاؤوا ليستأنسوا بالنيل حين فقدوا في انفسهم المؤانسة ، وضاقوا بغيرهم من الاهل والاصحاب .

كانوا مثل شخوص ثلاثة من لحم ودم ، تقاربوا حتى كادوا يتلاصقون ، ولكنهم في هذا التقارب الذي ليس فيه تجاوب كانوا متنائين ، متنائين متقاطعين ، حتى كأنهم لم يتعارفوا . كان كل منهم يعيش في دخيلته وسريرته عيشة لا تشبه عيشة الآخر ، إذ كان في نفسه متوحداً منفرداً ، وكأنما ألقي في عالم صاخب متشعب . ما أقدر الانسان على إخفاء طويته ! أضعف من يخفيها ذوو السذاجة ومن يبدو على طبيعته دون تكلف ، ولم يكن هؤلاء ممن عرفوا بالسذاجة او البعد عن التصنع ، بل كانوا ثلاثة اقانيم للمكر الازرق ، اثنان منهما صديقان في الظاهر يعيشان في إهابي عدوين لدودين ، والثالث كان السبب في هذه العداوة .

اخذت انوار المدينة تتلألأ حين اوشك الليل ان يدخلها ، فانعكست المصابيح وضاءة على الماء ، وقد تراءت أعمدتها كأنها مرايا مصقولة كبيرة ، اما الشخوص الثلاثة الصامتون الذين جمعتهم الحياة فكانت مصابيح الارض تعجز عن اضاءة الليالي المستديمة في صدورهم الموحشة .

لولا حدود القانون لبطش الفتى بالكهلة الخانقة الضجرة ، فاستل منها الصبية وضمها اليه ضمة ، كانت فيها سعادتها ونقمة الماضي الغاشم الذي عاش فيه معها ، ولولا العقوق والجحود لمكرت الصبية بالفتى والمرأة معاً فقد شقيت بهما وشقيا من اجلها وكانت حياتها لولاهما سعيدة صافية .

اما المرأة الخطيرة التي امتلأت نكداً وندماً ، فلو تمكنت من ذلك لضمت الفتاة اليها ضمة الظفر والخلاص ثم مدت رجلها على عنق الرجل فداستها وضغطتها حتى تفيض روحه .

كذلك كان يعيش هؤلاء الثلاثة إذا خلوا الى انفسهم ،

لكنهم اذا جمعتهم اطراف الليل والنهـــار وبعض السهرات والزورات بالأهل والاصحاب ، كانوا يصطنعون البهجة والمرح فيتناسون مـــا شغل قلوبهم ، فاذا هم يذهبون مذهب غيرهم ويشاركون فيما يشارك به سواهم ، فكانوا محسودين على الوئام الظاهر والائتلاف المنشود .

ولقد قيض لي ان أتسلل الى تلك الأنفس وأتدسس الى ما ظهر منها وما بطن ، دخلتهـــا وبيدي مصباح انطفأ كثيراً وارتجف نوره ، غير اني حين استطعت مداراته كشف لي عن الخبايا في الزوايا والاعماق .

فالفتى الساهم الواجم الذي كان لا يستطيع ان يثبت نظره في الكهلة المتوقرة ، كان زوجاً لفتاتها الوحيدة . لقد احبهـا وتعلقها ولم يستطع ان يتخلى عنها . لم يعرف امرأة قبلها فأشبه ريفياً جاء لأول مرة مدينة تضج باللهو والحضارة ، وكان في ريعان الشباب فأخذ بهذه المدينة الخالبة وبهرت عينيه مفاتنها .

وكانت تلك الزوجة تبادله الحب وتؤثره إيثاراً شغلها في فرحة العرس عن امها التي فدتها ونذرت لها عمرها . تزوجته ولم تدر ان هذا الزواج سيكون لأمها بعد شهور جحيما مقيما . لقد ربتها بالدمع والحسرات ، لأنها نشأت يتيمة فأفرغت عليهـــا فيض حنانها ووهبت لها ما تبقى من صباهـــا وربطت بها ما انقطع من احلامها التي لم تتحقق .

وانها لتلعن الساعة التي رضيت فيها بتزويجها ، فقـد عدت الزوج غاصباً مستأثراً وكره هذا الزوج قرب حماته ، متمنياً ان تكون له الزوجة وحده .

وكانت هذه الزوجة موزعة بين جاذبين عنيفين متنافرين ، ولم تكن لها ثقافة تبصرها بامرها او بصيرة تستطيع معهـا ان تعرف ما في الاغوار .

تنازع حبها قلبان كان كل منهما يريد الاستئثار والتفرد . مشكلة ليس لها حل ، وأعنف المشكلات تعقيـــداً وإجهاداً ما كان في السريرة كامناً أو دفيناً من هوى النفوس .

كانت الحياة تمر بالثلاثة في ايامها واطوارها ، فلا تزيدهم إلا هماً وغماً ، ولم يكن للأم احد تلجأ اليه ، ولو هي وجدت لما استطاعت ان تترك بنتها يوماً . وقد شـق الامر على الزوج ، فانّ قرب الأم كان يؤذيه ومكرها يضنيه . حاول مرة ان يشترط على زوجته فراق امها فغضبت وانتفضت ، وهجرته شهراً على قهر وغضاضة .

ما هذا الطمع الانساني العسير الذي سوّد وجه الحياة في نفوس ثلاثة تحت سقف في بيت واحد ؟

ولم يتدخل القدر فيحوّل المجرى ، وكان بيده هذا التحويل والتبديل مثل العامل الموكل بدرب القطـار ، يحرك المفاتيح الحديدية فيجري القطار الى غاية ثانية . وكان حلُّ المشكلة سهلاً عليه لو كتب زوال الام . ومن يدري ، فقد تحزن البنت حزناً يكون على زوجها أشقى وأشق من بقاء امها . أما فقـــده هو فكان أشدّ هولاً لأن الأم لن ترضى بزوج آخر ولو كان ملاكا . اما هي ، هذه التي شقيت بزواجها ووقعت بين ويلين ، فان القدر يعلم انها إن هلكت وانطوت جرّت الانتحار والدمار على المتنافرين المتناكرين . وكنت وما زلت افكر في حـل لهذه المشكلة المستعصية حتى قهقه القدر الذي لا يستعصي عليه شيء .

ما كانت الأم عجوزاً حيزبوناً ، ولا ضعيفة سخيفـة ، بل كانت في كهولتها الاخيرة اشدّ تعلقاً بالحياة وتمسكاً بالاماني وما يردّ رونق الشباب ويخفي عدد السنين .

كان يشق عليها ان يخلو الطريق امامها ، تجتازه وحدها على خزيٍ ووحشة ، مقهورةً محسورة ، واثنان معها كأنها طيفان لا يعرفان سرها . وكانت من نساء الجيل الماضي لا تعرف ريبة الجنس وتتورع عن كل محرم ، لكنها وقد مات زوجها وهي

اعلام الفكر

في مطلع السنة الجديدة تقوم دار بيروت — للطباعة والنشر ، باصدار مجموعة تحت عنوان — اعلام الفكر — تقدم فيها نخبة مختارة من اعـــلام الفكر العالمي ، في الشرق والغرب ، وهي دراسات عميقة كاملة عن حياة كل مفكر ، يتخللها عرض قيم لمذهبه العلمي والاجتماعي واثره في تاريخ الفكر . وقد توخت الدار ان تختار لتأليف هذه المجموعة وترجمتها نخبة من الادباء والعلماء اصحاب الاختصاص ، تبدؤها بـ

١ — **كارل ماركس** تأليف الاستاذ هنري لوفابر
٢ — **ابن قتيبة** « الدكتور اسحاق موسى الحسيني
٣ — **الامام علي** « الاستاذ رئيف خوري
٤ — **برنارد شو** ترجمة الاستاذ عبد اللطيف شراره
٥ — **جعفر الصادق** تأليف الاستاذ عبدالعزيز سيد الاهل
٦ — **انجلز** ترجمة الدكتور علي سعد
٧ — **عمر فاخوري** تأليف الاستاذ حسين مروه
٨ — **تاغور** « « خليل هنداوي
٩ — **غاندي** « « محمد روحي فيصل
١٠ — **برغسون** « « محمد عيتاني

في ريعان العمر ضنت بنضرة صباها ونشاطها على غير فتاتها فالتصقت بها وشغلتها عن الزوج الثاني ، ولقد بقي في اعماق نفسها شبح الزواج مستخفياً في مجاهل روحها لا يتكشف لها لانه لا يستطيع الثبات امام حنوها الفياض على البنت اليتيمة . وحين شبت هذه البنت عاد الشبح يدور برأسها ، ولما زوجتها اشتد دورانه وأخذ يبحث عن منفذ ، وكانت المنافذ قد سدت عليه فانسل الى صدرها يوسوس فيه ويغريها بكره الشريك الجديد .

وطال تفكير الزوج في هذه المسألة التي لم يجد لها جواباً ولا حلاً ، ولم يستطع منها فراراً ولا عنها حولا . لقد أذعن لهذه الآفة التي نغصت حياته . كان يتلهف شوقاً الى الانفراد بزوجته ومعيشته ، حتى كاد يختنق من اللوعة المكبوتة والرقابة الدائمة .

وكان يرجو من زوجته الخلاص فلا يلقى رجاؤه الا الخيبة والاعراض ، كلما عاد الى السؤال والرجاء . وكان الجواب الذي يشفي نفسه وحسه عند القدر الذي هداه في درب نفسه المظلمة فحك جلده بظفره ، حتى فقأ الدماميل التي صحبته بضع سنين فاستراح قبل فوات الاوان .

ولم يكن لهذا الزوج ما كان لبعض الناس الذين وقعوا في مثل شأنه ، فهو شاب ما عرف الحرام والانحراف ، وان حماته لفي حمايته غصباً وكرها ، وإنها لفي حرمة هو يبني قدسها ويقيم جداره .

وبقي القدر يضحك ويقهقه ، حتى ساق الى الزوج المقهور عماً من البلد البعيد كان قد رباه في الصغر ، ثم جاءه على الكبر هرباً من شماتة الذين عرفوا كبرياءه حتى أذله التبذير فجمع بقايا ثروة موروثة ، وحل بدار وريثه المنتظر حتى صاروا اربعة ، فهل اراد القضاء ان يزيد في الحرج والتنافر ؟

واشتد الحيف على الام التي أعياها شأنها فلم تجد حيلة ولا وسيلة للفرج والخلاص ، وقلبها لم يكن يطاوعها على فراق ابنتها التي لم تذعن لرغبتها وما استجابت لاغرائها . أتتركها مقهورة مغلوبة على امرها ؟

لقد اشتد تبرم الأم وسأمها ، بل ازدادت تململاً بحلول الضيف القريب ، فهي لا تبرح حجرتها حتى يخرج من البيت ولا يغادره إلا في مواعيد يضربها له بعض الذين عرفوا مجده المفقود فأحبوا ان يدبروا له عملاً يمسك الحياة والكرامة على نفسه . وقد حلف ابن اخيه ان لا يخرج من بيته حتى يتيسر له الرزق وينفرج باب الامل .

وضاقت الزوجة بهذا الضيف الذي طال مقامه وقل تحوله فاستثقلت ظله إذ حرم امها الحرية ، وكان مثل غمامة دائمة حالت بين الشمس والبيت ، ولم تستطع هذه الزوجة ان تفرج كرب امها حتى عاد الدهر بعد عامين يقهقه في ليلة هبت فيها رياحه فزحزحت تلك الغمامة المقيمة وكشفت عن النجوم اللامعة فتألقت الدار بالبشاشة والايناس على البيت الذي طال وجومه وحل فيه الكمد والضجر .

وكفكف الاهل وبعض الجيران والاصحاب تساؤلاً طويلا وهمسات ووشوشات فيها الدهش والعجب ، وفيها الغبطة والاشفاق ، فقد دارت كؤوس المرطبات بشراب الورد والليمون ، ونهض المأذون داعياً مباركاً . .

ان الزوج الجديد حل المشكلة المستعصية بعد ان كان ضيفاً ثقيلاً .

وداد سكاكيني

القاهرة